

كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

رابعاً: التقليد والأساطير الخاصة بأعمال الرسل وموتهم

لا نملك سوى الشعور بحب استطلاع مشروع تجاه أعمال ونهايات العديد من الرسل الذين أحدثوا مثل هذا التأثير على العالم في أيامهم وجيلهم. وما حدث لأغلبيتهم خلاف ما ورد في قصتهم في السجل المقدس مفقود بالنسبة لنا، باستثناء ما يمكن أن نستجمعه عنهم من بعض التقليد الغامضة والكثيرة الظلال والأساطير. لا شيء يمكن أن يُبنى على الأساطير والقصص الخيالية، لأن الحقيقة تبقى أنه ليس لدينا دليل حقيقي فيما يتعلق بالمكان أو طول المدة التي حمل فيها أغلبية الرسل شهادتهم للمسيح وقاموا بأداء خدمتهم التي كلفوا بها وماتوا موتاً مأساوياً، أو طبيعياً. يمكننا أن نعرف من التاريخ الكنسي أن معظمهم ختموا شهادتهم بدمائهم، وهم يتحملون بشرف تجاربهم المريرة والأحداث الأليمة التي أدت إلى استشهادهم.

ومن الطبيعي تماماً بالنسبة للكنيسة المسيحية الأولى أن تعرف المزيد من المعلومات عن التاريخ والأعمال اللاحقة لجميع الرسل بأكثر مما يخبرنا عنه العهد الجديد. ونتيجة لذلك فقد استحدثت مكتبة تحتوي قدراً كبيراً من المادة الأبوكريفية التي شوهتها العديد من التناقضات الذاتية والسجلات التي تحمل معجزات عديمة الفائدة وغير قابلة للتصديق. واحد من أوائل هذه الكتب الأبوكريفية كتب بقلم ليوكيوس. وقد ظهر في القرن الثاني، وحاول أن يملأ الفراغ الذي تركته السجلات الموحي بها. بذل الكاتب جهداً كبيراً لرسم خريطة للأجزاء المختلفة من العالم والتي فيها، قام العديد من الرسل بأعمالهم وكيف ختموا مسار رحلتهم الأرضية. وبذل يوهان البرت فابريكيوس من هامبورج مجهوداً للبحث عن الحقيقة كالحبوب وسط أكوام المعلومات الأسطورية. وفي سنة ١٨٦٤ نقب الفريد ڤون جوتشميد Alfred Van Gutschmid ، وفيما بعد تشندورف Tis-chendrof، وليبسيوس Lipsius، نقبوا جميعاً في أقدم المصادر الأبوكريفية لأعمال أو رحلات أو عظات رسل معينين. ومن هؤلاء الكُتَّاب المتأخرين تم العثور على مجموعات من الأقوال العامة مستخلصة من عملين يتم تدوينهما في القرنين الخامس والسادس، حاول جوتشميد أن يبين أن هناك عناصر تاريخية يمكن التحقق من صحتها من قبل مصادر مستقلة، وبذلك نحصل على مفتاح لمجال العمل الذي قام به بعض الرسل الذين يعد تاريخهم اللاحق غامضاً. وقد تم التأكيد على أنه: مهما كان التقليد حافظاً غير أمين وغير مؤكد للشخصيات والأحداث، إلا أنه نادراً ما يكون من صنع الخيال. ولذا، فمع أن مجمل الوثائق التقليدية التي تدعي أنها أعمال أو أناجيل الرسل وكتبت كلها بعد القرن الأول بمدة طويلة، إلا أنه من الممكن بشيء من الصبر والبديهة أن نستخلص من هذه القصص القديمة بعض الإحساس المنعش والمبهج بالحق الأصيل. إن أساطير وأوصاف الأعمال الرسولية التي ترقد خامدة في التقليد المذهبي أو التي تخرج على شكل شظايا غريبة، تمتاز بالتشويق عندما تستخدم كمتابعة لمعرفة نقية وبسيطة عن الرسل كما وردت في العهد الجديد.

قال يوسابيوس، مؤرخ الكنيسة في حوالي القرن الثالث، إن «رسل وتلاميذ المخلص الذين كانوا يجولون في كل أنحاء العالم، بشروا بالإنجيل في كل مكان». وقائمة الدول الممثلة في يوم الخمسين يجب أن تكون ماثلة في

الأذهان في السجل التقليدي لتاريخ ما بعد العهد الجديد، فالدول المذكورة تغطي على نطاق واسع المنطقة التي يشغلها الشتات اليهودي، ولذلك فهي المنطقة التي ركز عليها الرسل جهودهم أولاً، والوصف الذي يذكره لوقا دقيق: «فريتون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء» (أعمال ٢:٩،١٠).

عند الكتابة عن «ما الذي آل إليه الرسل؟» يبدي روبرت إليس تومسون هذه الملحوظة: «إن عدم ذكر كل أوروبا ما عدا روما، وكل إفريقيا ماعدا مصر والقيروان، أمر لافت للنظر. نحن نعرف، من سفر الأعمال، عن اليهود في مدن مكدونية، وصقلية وأخائية (اليونان). ولكن هؤلاء لم يذكروا، من المرجح لأنهم كانوا يحتلون مكاناً أقل أهمية كثيراً في الشتات عن المنطقة الآسيوية، والتي كانت مقسمة بين امبراطورية الفريسيين والإمبراطورية الرومانية. ويذكر بطرس أيضاً المناطق الآسيوية في الشتات: «بنتس وغلاطية وكبدوكية وأسيا وبيثينية» (١بط ١:١). لقد كان انتشار اليهود في الاتجاه الآسيوي، سبباً في توسيع إدراكهم التاريخي وجعلهم قوة دينية كبرى.

أندراوس

يحكي التقليد عن الأنشطة المضنية التي لا تهدأ لأندراوس كما يحوي سجلاً حافلاً بقصص شفاء الأمراض، والشفاء من مرض الخطية بل وقهر الموت، إلى حد إقامة ٣٩ بحاراً ميتاً تحطمت بهم السفينة ووصلوا إلى الشاطيء بفعل الأمواج. تصوره الأعمال المعجزية كساحر يجري أشياء عظيمة بأبسط الكلمات. ويقول التقليد المبكر إنه ذهب إلى بلاد تأكل لحوم البشر، وأقام على الساحل الجنوبي للبحر الأسود، الذي كان مأهولاً بالقراصنة. وهو يبرز أيضاً كمرسل إلى روسيا، وكالقديس الحامي لاسكتلندا! والكنيسة في بيزنطة، القسطنطينية، تقول إن أندراوس هو مؤسسها وهناك رواية من القرن الرابع تحكي عن موته بالصلب في سنة ٦٠ تحت حكم ايجيتس Ae-geates.

يمكن إيجاز قصة استشهاده هكذا: تجددت زوجة الحاكم بفضل كرازة أندراوس، ولما أعماه الغضب والحقد، بعد أن بذل كل ما في وسعه لإبعاد زوجته عن الدين الجديد دون جدوى، أمر الحاكم أن يصلب الرسول بقسوة على صليب على شكل حرف «X» حيث علق حياً لمدة يومين يعظ الناس وهو في أشد أنواع الألم لكي يثبتوا في الحق ويكونون أمناء له، يستدعي فلاميون هذه الفقرة من آخر حديث لأندراوس:

«أيها الرجال الحاضرون هنا والنساء والأطفال، الكبار والصغار، العبيد والأحرار، وكل من يسمعني، لا تلتفتوا إلى الخداع الباطل لهذه الحياة الحاضرة، بل تستمعوا لي أنا المعلق هنا لأجل الرب، وعلى وشك أن أترك هذا الجسد. أناشدكم أن تنبذوا كل شهوات هذا العالم، وتحتقروا عبادة الأصنام اللعينة، وأن تلجأوا إلى العبادة الحقيقية لإلهنا الذي لا يكذب، واجعلوا نفوسكم هيكلاً نقياً على استعداد لقبول الكلمة وأسرعوا لكي تلحقوا بروحي وهي تسرع نحو السماويات. وباختصار احتقروا كل الأشياء الوقتية ولتكن أفكاركم ثابتة غير متزعزعة في الإيمان بالمسيح».

ثم يمضي التقليد ليقول إن القنصل، شعر برهبة بالغة وخوف شديد من شغب الجماهير وعنف المشهد، فحاول أن يحل قيود أندراوس التي تقيده بالصليب، ولكن أندراوس لم يسمح له بإنزاله، وصاح قائلاً: «يايسوع المسيح، لا تدع عدوك يحل ذلك المعلق المستند على نعمتك، أيها الآب، لا

تدع هذا الشخص التافة أن يذل من أدرك عظمتك مرة أخرى. وأسلم الشهيد الروح وبكى جميع الحاضرين وحزنوا لأجل موته.

يقول جيروم إن بقايا أندراوس أخذت من باتراس إلى القسطنطينية بأمر الإمبراطور قسطنطين في سنة ٣٥٧م. ومن هناك أخذ الجسد إلى أمالفي، بإيطاليا في سنة ١٢٠٨، وفي القرن الخامس أخذت رأس أندراوس إلى روما، وأعيدت على يد البابا بولس السادس في سنة ١٩٦٤ إلى الكنيسة اليونانية الارثوذكسية في باتراس.

وهناك أيضاً صلة أندراوس بإسكتلندا. يقول التقليد إن بعض بقاياه أحضرت إلى ذلك البلد في القرن الثامن، وإن انتصار «البكتس» في المعركة واعتناقهم المسيحية قد نسب إلى بقايا القديس أندراوس. أصبح الرسول هو القديس الراعي لإسكتلندا بصليبه الذي يزين علمها القومي. جعل موريللو، الفنان الشهير، منظر استشهاد أندراوس موضوعاً لواحدة من أجمل لوحاته. وكممثلين لأقدم السكيثيين، يعترف الروس الأوائل بأندراوس كراعيهم. وقد استخدموا العلم ولكن بألوان معكوسة، أي الصليب الأزرق على أرضية بيضاء. وهناك اسطورة من القرن الخامس عشر أن الصليب الذي صلب عليه أندراوس أحضر إلى مارسيليا في القرن الأول بواسطة إيستين، ملك برغنديا، الذي جعله شعاره في المعركة. كان هذا الصليب البرغندي أحمر اللون. ولكن على الرغم من الألوان العديدة المستخدمة في وصف صليب أندراوس، فهو رمز دائم يدعو الناس لوضع ثقتهم في قوة تفوق قوتهم الأرضية.

أما عن أندراوس نفسه، فمع أنه لم يكن شخصية بارزة في تاريخ العهد الجديد، إلا أن التقليد والأسطورة جعلته شخصية مسيطرة حقاً لكونه أول رسول كارز بالإنجيل أعلن عنه المعلم. يمتدح أحد المسيحيين القدامى شخصية أندراوس بهذا النمط الفريد:

القديس أندراوس هو البكر في الجوقة الرسولية، العمود الرئيسي والأول للكنيسة، صخرة قبل الصخرة، أساس لذلك الأساس، الباكورة الأولى للبداية، الداعي للآخرين قبل أن يدعي هو نفسه: بشر بالإنجيل الذي لم يكن أحد قد آمن به بعد، وأظهر تلك الحياة لأخيه وأعلمه بها، والتي لم يكن قد عرفها تماماً هو نفسه... كيف أصبحت نبياً؟ من أين جاءتك تلك المهارة السماوية؟ كيف كان وقع كلماتك على أذن بطرس - لقد وجدنا المسيا؟

وجدناه، ذاك الذي فقده آدم، والذي أساءت إليه حواء، والذي حجبته عنا سحب الخطية، والذي جعلته معاصينا غريباً عنا.

برثولماوس

كما أشرنا من قبل في تغطيتنا لهذا الرسول، فهو أيضاً نثنائيل الذي قابله المسيح تحت شجرة التين. يذكر يوسابيوس في كتابه «تاريخ الكنيسة» أنه عندما زار بانتانيوس الأسكندري، الفيلسوف الشهير بحكمته، الهند في القرن الثاني وجد هناك نسخة عبرية لإنجيل متى، كان قد تركها برثولماوس الذي كان قد كرز بالإنجيل من خلال كوش الآسيوية. يقال أيضاً إن هذا الرسول قد خدم في فريتا، وليكأونية وأرمينيا الكبرى. ويقال عنه في التقليد إنه صلب ورأسه إلى أسفل، أو تم سلخ جلده حتى الموت في البانوبوليس أو أربانوبوليس في أرمينيا بناء على أمر الملك استياجيس بعد تجديد الملك بوليميوس. ويقال إن بقاياه قد نقلت في النهاية إلى الكنيسة الرومانية للقديس برثولماوس في جزيرة في نهر التيبر. ويحتفل بعيد في ذكراه في ٢٤ أغسطس من كل عام، وفي الكنيسة اليونانية في ١١ يونيو. تم تزوير إنجيل غير جدير بالاحترام يحمل اسمه من قبل

هراطقة دنسوا ذكراه بعد موته. وقد وصف جيلاسيوس، أسقف روما، هذا الكتاب بأنه أبو كريفي وغير جدير بهذا الاسم والحماية التي يسبغها قديس مثل الرسول برثولماوس.

برنابا

مع أن الشواهد الكتابية لبرنابا تتوقف عند الانفصال المحزن عن بولس بعد مشاجرتهما بسبب يوحنا مرقس، وعودته لموطنه الأصلي في جزيرة قبرص، إلا أن هناك تقاليداً مختلفة بشأن المزيد من أعماله وموته. هناك كتاب أبو كريفي يدعي «رحلات واستشهاد برنابا»، قد ثبت أنه مزور منذ القرن الخامس. وهناك راهب قبرصي اسمه الاسكندر كتب أيضاً قصة رائعة عن الأعمال العظيمة للرسول. ويذكر تقليد الكنيسة بعد ذلك أن برنابا ذهب إلى الإسكندرية وينسب إليه «رسالة برنابا» المكونة من ٢١ أصحاحاً. وقد دافع عن صحتها عدد كبير من الكتاب الأوائل، ولكن يعتقد الآن أنها كتبت في القرن الثاني. رسم بعض الآباء الرسوليين صورة لبرنابا في روما حيث زعموا أنه كتب «الرسالة إلى العبرانيين». ولتأكيد الكنيسة في قبرص على استقلاليتها، وفيما بعد فحتى كنيسة ميلانو، أدعت أن الرسول برنابا هو الذي أسسها وقد أصبح أول أسقف لها. تؤكد بعض الأساطير الأولى أنه رجم حتى الموت من قبل اليهود في سالونيكا. ومع ذلك فهناك. مصادر أخرى تقول إن برنابا، الرجل القبرصي، عاد إلى جزيرته التي أحبها كثيراً وبقي فيها حتى دفن هناك وحيثما دفن فنحن نلقي بأكاليل الغار مع الرجاء بأن ذكراه في العالم المسيحي سوف تبقى مصدر إلهام للكثيرين.

بطرس

بعد سجنه على يد هيرودس وإطلاق سراحه بمعجزة نقرأ أن بطرس «فرح وذهب إلى موضع آخر» (أع ١٢:١٧). وفيما بعد كانت الإشارة الوحيدة الأخرى له في سفر الأعمال في مجمع أورشليم (أع ١٥:٧-١١). ربما زار الكنيسة في كورنثوس، حيث كان فريقاً من الأعضاء يدينون له بالولاء (١كو ١:١٢). وعلى الرغم أن السجل المقدس يذكر العديد من الأماكن التي زارها بطرس وبشر فيها (أع ٩:٣٢. ٣٦، ١بط ١:١)، إلا أن التقليد يذكر مناطق أخرى زارها، مختتماً زياراته بروما حيث أصبح أول أسقف للكنيسة، وطبقاً للكنيسة الرومانية الكاثوليكية كان أول بابا لها.

تقول الأساطير أنه بمجرد أن وصل بطرس إلى روما التقى بسيمون الساحر المذكور في سفر أعمال الرسل، وبعد أن كشف بطرس النقاب عن الاعيبه وفضح أمره، هرب هذا المخادع إلى روما، حيث استطاع عن طريق حيله أن يكسب رضا الجمهور حتى أصبح في الحال مكرماً كإله. يخبرنا جوستن مارتر أن تمثالاً أقيم له يحمل هذه الكلمات: «إلى سيمون، الإله القدوس» يصف هيجيسيبوس الذي كتب في القرن الرابع، الصراع بين بطرس وسيمون الساحر، بسبب أحد أقرباء الإمبراطور الذي كان قد أقامه بطرس من الأموات، وكيف أن المحتال مات ميتة مأساوية. وبسبب ذلك، فإن الإمبراطور، الذي كان يعامل سيمون كالشخص المفضل لديه، ثار ثورة عارمة لدرجة أنه ألقى ببطرس في غياهب السجون.

هناك تأييد قوي لاستشهاد بطرس يتضح من الكلمات التي وجهها المسيح له. «متى شخت فإنك تمد يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء» (يو ٢١:١٨). وقد يكون هناك أيضاً إشارة لاستشهاده في نصيحة بطرس نفسه للشيوخ: «أنا الشيخ (رفيقكم) والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن» (١بطر ٥:١). وسواء كان

بطرس في روما ومات ميتة شهيد هناك أم لا، فهذا سؤال ثار حوله جدال كثير. أكد اغناطيوس، في رسالته إلى أهل رومية، أن بطرس كان له مركز السلطة في كنيسة روما. والقوائم الأسقفية الرومانية تضع بطرس كأول أسقف للمدينة، قال مكاريوس من مفنيزيا إن بطرس صلب في روما بعد رعايته للقطيع بعدة شهور قليلة. ومن المرجح كثيراً أن يكون بطرس ذهب إلى روما واستشهد هناك أثناء الاضطهاد النيروني.

من وثائق أبو كريفية عديدة ترجع للقرن الثاني، ذُكر فيها اسم بطرس، نعرف أن «الكرازة» أو «الإنجيل» أو «الرؤيا» كانت موجودة على شكل أجزاء فقط. ويوجد أيضاً «أعمال بطرس» المتوافر حالياً في أجزاء باستثناء قصة استشهاده، التي تحتوي على التفاصيل بأن مدة أسقفيته دامت ٢٥ سنة. وأيضاً الأسطورة التي يذكرها أوريجانوس أيضاً بأن بطرس صلب منكس الرأس، فعندما أُحضر بطرس إلى الصليب طلب هذه الطلبة «لا تجعلوا رأسي إلى فوق: سيدي صُلب بتلك الطريقة! اصلبوني منكس الرأس. أنا أموت لأجل ربي: ولكني لست مستأهلاً أن أموت مثله» بهذه الطريقة استعاض عن ذكرى سقوطه وإنكاره لسيده.

ومن نفس هذا المصدر، لدينا قصة «كواڤاديس» إلى أين أنت ذاهب؟، التي تروي كيف أنه في وقت الاضطهاد، تم تحريض بطرس لكي ينقذ حياته بالهروب. وعندما نجح بطرس في الهروب من السجن في الليلة السابقة على اليوم المحدد لموته، شق طريقه من خلال الحارات المظلمة، ووصل إلى أبواب المدينة. وكان خارجاً على الطريق الأغناطي – حراً! ولكن بينما كان واقفاً هناك قابله شخص غريب، وقد شعر بطرس بطريقة ما أنه قد سبق له رؤية ملامحه من قبل، ثم أدرك أنه المعلم نفسه، فخر على ركبتيه وصاح قائلاً: Domine, Quo Vadis, Domine «يارب، يارب، إلى أين أنت ذاهب؟ «Quo Vadis?» فجاء الرد: كان عندي تلميذ مسجون هناك، وقد حكم عليه بالموت، وقد هرب وهو حر طليق الآن، وأنا ذاهب لأموت، للمرة الثانية لأجله» صاح بطرس «يارب، لا تذهب: سوف أعود: سأعود وأموت!» ثم عاد بطرس ليموت في اليوم التالي، ليس كبولس بسيف الجلاد، بل على صليب، حاملاً عقوبة عبد، حيث أنه ليس مواطناً من الإمبراطورية الرومانية. ويقال إن كاهناً اسمه ماركيلينوس حُفظ جسده ودُفن في مونت فاتيكانوس، وهي تقع على الضفاف الغربية لنهر التيبر بالقرب من طريق النصر. قالت كنيسة روما مؤخراً إنها تعرفت على عظام بطرس مدفوناً في أحد القباء في الڤاتيكان.

هناك أسطورة أخرى تتعلق بزوجة بطرس التي قيل أنها ابنة أرسطوبولوس، وأنها استشهدت أولاً، وعندما اقتيدت إلى الأمام، ناداها بطرس باسمها وواساها بالكلمات «تذكري الرب»، وابتهج بشدة لأن العزيزة على قلبه دعيت لمثل هذا الشرف العظيم وأنها كانت في طريقها لترى الملك في بهائه.. كان هناك اتفاق بين الزوج والزوجة في تلك الأشياء التي كانت أعز شيء على قلبيهما، والآن فإن إخلاصهما المتبادل للمسيح كان يُرى في موتهما لأجله. وهذا يكشف كم كان قيمة عمل المرأة ضئيل للغاية في تلك الأيام حتى أننا لا نعرف شيئاً عن زوجة بطرس الشجاعة.

هذه هي إذن القصة التقليدية لبطرس، الصياد الكبير، الذي أصبح رسولاً غير جدير بالثقة عندما ترك ربه، ولكن يوم الخمسين جعله شاهداً شجاعاً، وفي النهاية شعر أنه لا شيء أثمن من أن يقدم لربه! «ماذا أهدى للرب من أجل كل حسناته لي؟ سوف أخذ الكأس» كأس الاستشهاد وسوف أشربه لأجله! قال أوريجانوس قولة حق عندما ذكر أن

«الذي لديه إيمان بطرس فقط هو صخرة الكنيسة. والذي لديه فضائل بطرس هو الذي يمسك بمفاتيح الملكوت».

بـــولـــس

كان بولس يتوقع نهاية رحلته الأرضية عندما قال: «في الميتات مراراً كثيرة» وعبارات مثل: «أكملت السعي»، و«لي اشتهاء أن أنطلق» و«الموت لي ربح» و«نحن الذين في هذه الخيمة نئن» كلها تدل على أن الرسول لم يكن واهماً فيما يتعلق بقرب موته واحتمال استشهاده. والرحلات التبشيرية الثلاث لبولس والمدن التي زارها وخدمته فيها مبينة لنا بوضوح في أعمال الرسل وفي الرسائل البولسية، ولكن فيما يتعلق بالدائرة الأوسع في أجزاء مختلفة من العالم، يقدم لنا التقليد المزيد من الخيال والقليل من الحقائق. يقدم لنا الكُتَّاب القدامي إذ يذكرون أنه «رسول الأمم»، دائرة أوسع من تلك المذكورة في العهد الجديد. يخبرنا تيودوريت وآخرون أن الرسول لم يبشر في أسبانيا فقط، ولكنه ذهب إلى أمم أخرى وقدم الإنجيل للجزر في البحر، يعني بريطانيا.

في سنة ٤٣٥ م كتب تيودوريت:

بعد أن تحرر بولس من سجنه الأول في روما، كرز بالإنجيل إلى البريطانيين وآخرين في الغرب، لم يحث صيادي السمك والعشارين الرومان فقط والأجناس المتفرعة منهم على الاعتراف بالمصلوب، وبوصاياه، بل حثوا البريطانيين أيضاً والكمبريين».

ويتحدث ڤنانتوس فورتونانتوس في «ترانيمه المسيحية» سنة ٥٩٦م أيضاً عن بريطانيا وأن بولس كرز بالإنجيل فيها. وهناك أيضاً تأكيد مثير آخر من قبل بيد Bede المبجل، المؤرخ الشهير لتاريخ الأنجلو ساكسون، والذي أعلن أنه بناء على توسل الملك أوزوري Oswry إلى البابا فيتاليان، ثم نقل رفات بطرس، وبولس وأربعة شهداء من روما إلى انجلترا، حيث وضعت في كنيسة كانتربري سنة ٦٥٦م. سواء زار بولس بريطانيا فعلاً ودفنت رفاته هناك أم لا فهذا مجرد تخمين. ما هو مؤكد أن الطريقة التي بشر بها بولس بالإنجيل غيرت حياة أعداد لا حصر لها من الجنود الرومان الذين قاموا بدورهم بتوصيل رسالته إلى بريطانيا القديمة وقد حثوا الغاليين والبريطانيين على الإيمان بالحقائق المخلصة للنفس التي أعلنها بولس بطريقة مقنعة.

إن أعظم كاتدرائية في لندن تدعي بحق «كاتدرائية القديس بولس» والحب الذي يكنه اللندنيون لهذا الاسم يتضح من المبالغ الضخمة من المال التي خصصت لإصلاح تلك الكاتدرائية وإعادتها إلى ما كانت عليه من وقت إلى آخر.

وعلى الرغم أننا لا نعرف كل جولات بولس، إلا أننا متأكدون بأن الرسول مات في روما تقريباً في صيف سنة ٦٨م، والتقليد واضح أن رأسه قد قطعت في أثناء حكم نيرون، وأن نيرون نفسه مات في يونيو من نفس السنة، لاشك أنه لا يوجد في كل التاريخ تناقض صارخ أشد مما يوجد بين بولس، البريء المدان، ونيرون، الحاكم الذي كانت شخصيته موسومة بأقسى أنواع الجرائم التي لا يمكن التعبير عن فظاعتها. كان نيرون يكتسي بثوب امبراطوري أرجواني، وكملك على كل العالم المعروف وقتئذ وكصاحب سلطة غير محدودة، كان البخور يقدم له فوق ألف مذبح.

أما بولس المسن والذي أدانه نيرون فقد كان مقيداً، ومرتدياً الأسمال البالية، ومحتقراً وربما لا يعد من الأهمية بمكان حتى يأتون به إلى المحضر المهيب للإمبراطور. وأخيراً تم اقتياده إلى خارج المدينة إلى ساحة الاستشهاد دون تسجيل لما حدث، ومع ذلك فهذا المجرم المسكين كان هو

الرجل الذي كرمه الرب أكثر من الآخر. عند تجديده سأل: «يارب ماذا تريد أن أفعل؟». كلف بمهمة إعلان الإنجيل إلى كل العالم، وبإخلاص منقطع النظير وبقلب فرح حسب كل خسارة مكسباً، عندما «امتد إلى ما هو قدام» حيث سعي نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع».

أما عن أيام بولس الأخيرة، فالتقليد يقول إنه بعد الانتظار في الزنزانة الباردة في سجن ما مرتين لتقديمه إلى المحاكمة الثانية، حيث تعود محاكمته الأولى إلى ختام سنة ٦٠م، فقد أخرج من السجن في وقت كان نيرون فيه ينفث غضباً ضد المسيحيين. وحكم على بولس بالموت، ولم يكن له سوى امتياز الموت كمواطن روماني، ليس بالصلب بل بسيف الجلاد. كان هذا حوالي نهاية سنة ٦٦م عندما كان الرسول يبلغ من العمر حوالي ٦٣سنة.

في ضواحي روما، على بعد حوالي ٣ أميال إلى الجنوب الغربي من المدينة، توجد كنيسة، أعيد بناؤها بعد حريق، وهي كنيسة جميلة وفسيحة، تدعى كنيسة القديس بولس خارج الأسوار، ويوجد داخل سور الكنيسة ثلاث كنائس صغيرة، تحتوي إحداها في ساحتها على ثلاث نافورات من الماء الحي، النابع من باطن الأرض. وهناك تقليد قديم يقول إنه في تلك البقعة عينها تم تنفيذ حكم الإعدام في الرسول العظيم، وأن هذه النافورات الثلاث تمثل ثلاث نقاط لمس فيها رأس الرسول المهيب الأرض، كم كانت تلك لحظة مظلمة تزخر بالألم والصدمة عندما هوت الفأس على رأس الرسول، ولكن كم كانت اللحظة التالية مليئة بالضياء والفرح عندما رأى الوجه المشرق وسمع الصوت الرقيق ليسوع الناصري! فقط كانت الحياة بالنسبة له هي المسيح، والموت ربح، لأن الموت كان يعني أن يكون مع المسيح، وهذا أفضل بكثير.

تداوس

أشرنا من قبل أن هذا هو الرسول الذي له ثلاثة أسماء، لباوس، وتداوس، ويهوذا (ليس الإسخريوطي). تقول الأسطورة إنه وجد حقل خدمته في مملكة أوسروين السريانية وعاصمتها إديسة، حيث كان ملكها إدجار يعاني من مرض غير قابل للشفاء وكان يتلهف على الشفاء من مرضه. امتد حكمه من ١٥ ق.م – ٥٠م، وبذلك كان ملكاً على أديسة في وقت خدمة ربنا. بعد أن سمع الملك عن الرب كالمخلص والمدبر لأمور البشر، قرر إدجار أن يكتب له ويطلب منه أن يزوره، أرسل تداوس باسم المسيح، وشفى الملك من مرضه وشفى أيضاً متألمين آخرين كثيرين في المدينة من أمراضهم المختلفة. وكنتيجة لذلك اعتنق الملك المسيحية، وآمن أيضاً عدد كبير من رعاياه، وأصبحت إديسة أول دولة مسيحية.

بعد موت إدجار قسمت مملكة أرمينيا بين ابنه، أنانون، وابن أخيه، ساناتروك. تجدد الأخير الذي حكم في أرمينيا ولكنه ارتد، بسبب الخوف من الولاة الأرمينيين. أخذ تداوس ورفقاؤه المسيحيون أسرى واستشهدوا في منطقة سكافارسكار، وقد ارتبطت بهم العديد من الذكريات والخدمات.

توما

ترتبط بهذا الرسول قصص أسطورية أكمل من القصص المرتبطة بمعظم الرسل الآخرين. وبالرغم من أن هذه القصص ممتزجة بالخوارق إلى درجة مفرطة، إلا أن هناك عناصر تاريخية يسهل اكتشافها في القصص المرتبطة بتوما. فقد ذهب ليعمل في إمبراطورية الفرس، على الحدود بين فارس والهند، في وقت بدأ فيه البوذيين في الهند يواجهون بكفاءة مع الزرادشتيين في شرق

فارس. وكان الفارسيون يثأرون لأنفسهم بغزو الإقليم الهندي المدعو الهند البيضاء وأركوزيا. يقول التقليد إن المخلص ظهر لتوما في رؤيا الليل وقال له «لا تخف يا توما، اذهب إلى الهند وبشر بالكلمة هناك، لأن نعمتي معك» عمل توما أجيراً كعبد لتاجر هندي وأبحر معه ودخل في خدمة ملك الهنود، الذي يدعي جندوفارس، الذي توجد صورته على العملات القديمة، والذي يذكر كثيراً في الأساطير التي تحمل اسم توما.

ونعرف من التقليد أن توما كان الواسطة في تجديد «ملوك الشرق الثلاثة» الذين أتوا ليقدموا هداياهم وعبادتهم للطفل المخلص. أما عن موته، فإن حياة توما انتهت على الساحل الهندي بالقرب من بومباي، حيث استشهد عن طريق رمح أغمد في جسده، بينما كان راكعاً ليصلي، وقد أقيم نصب تذكاري لاستشهاده في هذه البقعة ظل لمدة طويلة. يزعم المسيحيون السوريون الذين استقروا على هذا الساحل قبل عدة قرون من وصول المستكشفين الأوروبين إلى الهند، أن توما هو المؤسس لكنيستهم. استطاع إيمانويل فريا، حاكم ساحل كوروماندل، بعد جهد مضن وحذر شديد أن يزيل رفات توما جنباً إلى جنب مع عظام الملك ساجامون الذي كان توما سبباً في تجديده، ويدخلها إلى الكنيسة المقامة تخليداً لذكراه. (انظر مقالات عن توما وانجيل توما في قاموس الكتاب المقدس المصور لدار نشر زوندرفان أو قاموس آخر للكتاب المقدس أو دائرة المعارف).

سمعان الغيور

هناك قصة أو قصتان شيقتان فيما يتعلق بهذا الرسول الذي يشتهر بغيرته وحماسته المشتعلة، والذي تعلم من الغيرة الأكثر نقاء والأعمق والأقوى للمعلم الذي تبعه.

إحدى القصص تقول إن حقل نشاطه كان في امبراطورية فارس والتي كان يحكمها في ذلك الوقت أخان، فاردانا الذي كان يحكم في بابل ونيرسه في فارس. بدأ سمعان أعماله في الجنوب في بابل، ثم انتقل شمالاً عبر الإمبراطورية، ولقي موتاً أليماً في كولشس في أقصى الشمال.

ولكن يوسابيوس ذكر في «تاريخ الكنيسة» سمعان الغيور كواحد من الرسل الذين، «عبروا المحيط إلى الجزر البريطانية». فبعد أن كرز في مصر وإفريقيا، ذهب سمعان أخيراً إلى ما وراء البحر المتوسط، ونزل على الشاطيء الإنجليزي، وكانت روحه مليئة بالسلام تجاه المهمة التي كانت تنتظره وسط القبائل هناك. أما عن نهاية سمعان، طبقاً للمصادر الأبوكريفية «آلام سمعان ويهوذا» فبعد كرازته بالإنجيل في مصر، انضم سمعان إلى يهوذا، أو تداوس، في فارس حيث استشهد كلاهما. وقد نشر سمعان، كما حدث لبعض القديسين (عب ١١:٣٧)، ويعتبر ٢٨ أكتوبر عيداً للاحتفال بذكرى سمعان ويهوذا.

فيلبس

يمكننا أن نتخيل بسهولة أن الرسل كانوا بلاشك يرتحلون بعيداً لوحدهم إلى مسافات بعيدة ونادراً ما كانوا يذهبون أكثر من اثنين أو ثلاثة معاً، ولكن ما لا نستطيع أن نقبله هو الطريقة التي يتم بها محاولة تزيين خدماتهم الأسطورية بمعلومات وهمية وخيالات غريبة. إن فيلبس الرسول شأنه شأن كل الرسل الآخرين قد نال بركة خاصة في يوم الخمسين، ومضى قدماً للمشاركة في الشهادة للمسيح في مناطق مختلفة. يخبرنا التقليد أنه ذهب إلى فريجية مع رفيقه القديم برثولماوس أو نثنائيل وقد اصطحب أيضاً أخته المخلصة مارتمين، التي اشتهرت بتوزيع الطعام

على المحتاجين. ذهب هؤلاء الثلاثة إلى أسيا الصغرى، ثم إلى هيرابوليس، وهي مدينة وثنية تقدس أفعى ضخمة، ربما احتفالاً بجوبتر الذي كان يُعبد، على شكل تنين.

إن الأعمال الأسطورية لفيلبس ورفيقيه عديدة، هناك مغامرة تروى عن لقائهم بلبؤة وشبل يتحدثان بصوت بشري، وقد التقوا أيضاً بتنين مرعب، يزيد طوله عن مائة ذراع، وزواحف ضخمة أخرى. وقد قضى هؤلاء الثلاثة على هذه الحيوانات، بعد أن دخل هؤلاء الثلاثة كمرسلين إلى هيرا بوليس، كانوا سبباً في تجديد نكانورا، زوجة الوالي. تحكي السجلات الأبوكريفية عن الاضطهادات المريعة التي تعرضوا لها، والإنقاذ المعجزي، والاستشهاد النهائي لفيلبس والذي بسبب احتجاجه على وثنية المدينة مما جعل السكان في ثورة قاسية، فإنه قد صُلب في المدينة التي كانت أشر المدن الوثنية في الشرق الأدنى، وقد كانت المدينة مكرسة لعبادة الإلهة سيبيل والتي كانت طقوسها عبارة عن حفلات تتسم بالعربدة وتجمع ما بين القسوة والانغماس في الشهوات الحسية. يذكر أربعة من آباء الكنيسة الأوائل أن الرسول فيلبس عمل في فريجية، وقد كانت كولوسي مدينة فيها، وذكروا أنه مات مشنوقاً على عمود وأنه دفن في هيرابوليس.

أما عن الطريقة التي مات بها فعلاً، فهناك تقليد يقول إن فيلبس مات بأسباب طبيعية، وطبقاً لتقليد آخر فإنه مات مصلوباً، ومع ذلك فتقليد آخر يقول إن حكم الإعدام قد نفذ فيه. فعندما وبخ أهل فريجية لعبادتهم لذلك المخلوق القبيح ألا وهو الحية، تاب عدد كبير من عبادة الأوثان وأصبحوا مسيحيين. ولكن حكام المدينة قبضوا على الرسول وجلدوه بشدة وضربوه وألقوا به في السجن، وبعد ذلك أخرج من السجن، وتم شنقه من رقبته على عمود وفي أثناء تنفيذ حكم الإعدام في فيلبس تزلزت الأرض وعندما كان يبدو كما لو كان الحاضرون في خطر أن تبتلعهم الأرض أحياء، بكوا من أجل ما أنزل الله بهم من انتقام إلهي واضح بسبب وثنيتهم وتابوا، وفي الحال أغلقت الأرض. ويمضي التقليد فيقول إن برثولماوس أنزل جثتي فيلبس وماريمن، أخت فيلبس ودفنهما، وناشد الناس أن يظلوا أمناء للمسيح، ثم رحل عن المدينة.

كما سبق أن أشرنا في دراستنا لفيلبس الرسول، أنه لا يصح أن نخلط بينه وبين فيلبس الشماس الكارز، الذي، كان مع استفانوس، واحداً من الشمامسة الأصليين المختارين للعناية بشئون الاجتماعات. من المستحيل تماماً تتبع جولات التلاميذ الأقل شهرة بأي قدر من اليقين بعد ظهورهم في تاريخ العهد الجديد، ولكن الشيء المؤكد أن «المرسلين المسيحيين الأوائل في البلاد البعيدة كانوا وسط أعدائهم، وغموض موتهم أفضل تأكيد، لأمانتهم البطولية».

متياس

فيما يتعلق بمتياس الذي عين ليأخذ المكان الذي أخلاه يهوذا بين الرسل، لا تعرف شيئاً يصل إلى درجة اليقين، اللهم سوى ظهوره الوجيز والوحيد قبل يوم الخمسين. يشير أكليمندس الإسكندري إلى بعض «التقاليد» عن متياس، وأحداها تقول إنه هو زكا العشار. هناك قصة رومانسية تدعى «أعمال أندراوس ومتياس» مكتوبة باليونانية والسريانية وباللاتينية في بعض الأجزاء، ولكن أجزاء منها نادرة ومدونة في مصادر مشكوك في صحتها. وفي إحدى هذه المصادر نجد وصفاً لمغامرات متياس اللافتة للأنظار وسط آكلي لحوم البشر. ومن المفترض أنه عمل أولاً في اليهودية وأخيراً في كبدوكية، حيث رجم وقُطعت رأسه في حوالي ٦١ أو ٦٤م وسط مجتمع بربري وهمجي. ومن المصادر الأسطورية نستقي الانطباع العام

أن متياس ظل أميناً حتى الموت. ويقال إن جسده قد حُفظ لمدة طويلة في أورشليم، وقد نُقل من ذلك المكان كما يعتقد على يد هيلانة ، أم قسطنطين الكبير إلى روما، حيث عرضت بعض أجزائه في احتفالات مهيبة لمدة طويلة. ويقول أخرون إن بقاياه قد أحضرت إلى ترايرز في المانيا وحُفظت هناك مع إظهار قدر كبير من الولع بها. ومازالت الكنيسة اليونانية تحتفل بذكراه في التاسع من أغسطس ويحتفل في الكنيسة الغربية بعيد القديس متياس في ٢٤ فبراير من كل عام.

متى

عادة يفترض أن متى بشر بالإنجيل في اليهودية لمدة ٨ سنوات بعد صعود المسيح. وبخلاف ذلك ليس لدينا مستند موثوق به فيما يتعلق بالأماكن التي ذهب إليها أو كيفية موته. يتحدث سقراط المؤرخ الكنسي في القرن الرابع عن متى قائلاً إنه كرز في إثيوبيا وبلاد العرب. وتقول مصادر أخرى أنه عمل أولاً في المستعمرة السورية التي تأسست في بالميرا، أو تدمر، في البرية بين دمشق ونهر الفرات، وأنه ارتحل شرقاً إلى أهل مادي في كارنانيا. ومع ذلك فهناك تقليد آخر يقول إنه عمل مع أندراوس بين آكلي لحوم البشر على ساحل البحر الأسود. والحقيقة أن الخبر اليقين بشأن رحلاته لنشر العقيدة المسيحية لا يمكن التوصل إليه في زخم القصص التي تزخر بها الأساطير المختلفة.

قيل إن معجزات عديدة، قد أجريت على يد الرسول، كمعجزة العصا التي تلقاها من المسيح الذي ظهر له على شكل شاب جميل الطلعة، وأن متى وضع العصا في الأرض، وفي الحال نمت وأصبحت شجرة. أما عن موته، فإن كاتباً قديماً يؤكد أنه أُستشهد في إثيوبيا عن طريق قتله بالسيف. وقد سجل دوروثوسيوس قائلاً إن متى دُفن مُكرَّماً في هيرابوليس في فرتيا. من أوائل الأماكن التي بشر فيها بالإنجيل. أما عن مكان دفن جثته فذلك لا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة لنا. والكنيسة سوف تذكر دائماً التغيير العظيم الذي أجراه المسيح في حياته، وكيف أصبح كاتباً لأول كتاب في العهد الجديد والذي قال عنه رينان الملحد الفرنسي الشهير «إنه أهم كتاب في المسيحية - أهم كتاب كتب على الإطلاق».

يعقوب أخو الرب

مع أن يعقوب هذا كان أخو - أو قريب - يسوع حسب الجسد، إلا أننا رأينا من قبل كيف أنه لم يضع تماماً كل ثقته فيه ولم يعلن كل ولائه له حتى اقتنع روحياً وحرفياً بقيامته. وفيما بعد، ظل يخدم دون كلل لما يقرب من ٣٠ سنة، حتى وقت استشهاده في سنة ٦٢م. عندما نتذكر السنوات الطويلة من الحماية والحفظ التي تمتع بها في قلب أورشليم خلال فترة مضطربة بسبب الفريسية، والتعصب، والقلاقل، نتساءل عن سبب عدم الحيلولة بينه وبين مثل هذا الموت القاسي والمريع الذي اختتم به حياته.

طبقاً لتقليد كنسي، لقِّب يعقوب بالعادل، وكان نذيراً لله من بطن أمه، فلم يشرب المسكر، ولم يأكل اللحوم، وكان يلبس الكتان. ويقال إنه كان دائماً يركع وهو ينصح الناس حتى أصاب (الكالو) ركبتيه مثل الجمل. وقد استشهد بقسوة على أيدي الكتبة والفريسيين. فبعد أن وجده أعداؤه في الجانب الجنوبي الشرقي من حائط الهيكل، حيث كان جناح الهيكل، ألقوا به أرضاً نحو الوادي (انظر مت ٤:٥، لو ٤:٩). وقد سقط بالقرب من ورشة عمل القصارين الذين كانوا يمارسون مهام حرفتهم، وعندما وجدوا أنه ما يزال على قيد الحياة، ضربوه حتى الموت بعصيهم. مقابل زاوية منطقة الهيكل. عبر وادي يهوشافاط يوجد ضريح يدعى

«قبر القديس يعقوب». ولا يستطيع أحد أن يؤكد إن كان ذلك هو آخر مستقر فعلي لبقايا أول راعي كنيسة في المسيحية أم لا. نترك التراب الأرضي ونتجه إلى رسالة يعقوب الرائعة الباقية والتي تظل دائماً دليلاً حياً على إيمان وشخصية وحكمة أخي ربنا.

يعقوب بن حلفي

تخبرنا المصادر الكنسية أو التقليدية عن القليل من الحقائق الموثقة عن يعقوب هذا، بعد صعود ربنا. ويلف قصته الكثير من الغموض بسبب الأساطير الإبيونية[١]، والتي ردد بعضها هيجيسيبوس ١٧٠م. تشير ميرتل سترود جاكسون إلى خريطة هولندية غريبة وقديمة جداً للبحر المتوسط تضعها في كتابها «حياة وأساطير الرسل». في الركن العلوي الأيمن نجد هذه الكلمات «تظهر هذه الخريطة كيف سمع صوت الرسل في كل أقليم». ومكتوب في الركن العلوي الأيسر: «هذه خريطة لمختلف أنواع الأقاليم المناخية طبقاً للاهوتيين، الذين وفقاً لطريقة طبيعية وملائمة، درسوا المنطقة التي يسكنها الإنسان»، بعد ذلك هناك معلومات حول هذه الخريطة القديمة تقول إن متى كان في إثيوبيا، وإن توما عمل في مكان ما من شرق آسيا حيث الناس صغار الجسم والحيوانات كبيرة الحجم».

وذكر أسفل الخريطة أن «كومبو ستيلا مدينة عظيمة، حيث يرقد جسد القديس يعقوب، وهي تبعد ١٤ ميلاً عن أقصى الأرض، و٧٠٠ ميل عن هامبورج، وتبعد نفس المسافة عن روما، في أقصى المناخ المعتدل طبقاً للخريطة» والمدينة هي سنتياجو دي كوموستيلا، في شمال غرب أسبانيا. وقد زعم ثيودوميس، أسقف إيريا في ٨٦٥ م، أن نجما قد أرشده إلى المكان الذي دفن فيه جسد يعقوب. ومنذ ذلك الحين تكرم سنتياجو حياة وأعمال يعقوب. تخلد الكنيسة الأرثوذكسية ذكرى ابن حلفي في التاسع من أكتوبر. ويؤكد بعض الكُتَّاب القدامى أنه قام بعمل عظيم في أسبانيا، وبأعمال أخرى في بريطانيا وأيرلندا حيث أسس المسيحية وعين نخبة قليلة من المسيحيين ليكملوا ما كان قد بدأه. ثم عاد إلى أورشليم، حيث احتل منصب البابوية على كل الكنيسة المسيحية، هناك أسطورة متأخرة عن استشهاده في إيران ليس لها سند يشهد بصحتها.

يعقوب بن زبدي

غيرة وحماس يعقوب، وتوبيخه الجسور لليهود، ودفاعه القوي عن الإيمان المسيحي، جعل يعقوب موضع غضب هيرودس أغريباس، الذي أمر بالقبض على الرسول والزج به في السجن. صدر عليه حكم بالموت وفي الطريق إلى موقع الاستشهاد، تأثر الضابط الذي كان يقوم بحراسته كثيراً بشجاعته الجسورة وثباته على المبدأ، حتى أنه تاب وسقط عند رجلي الرسول، وطلب منه العفو عن الدور الذي قام به في المعاملة القاسية التي تلقاها يعقوب. أقام الرسول الضابط، واحتضنه وقبله، قائلاً له: «السلام يا ابني، ليكن لك السلام، والعفو عن أخطائك» تغير الضابط في الحال، وأعلن خضوعه للمسيح علناً. وقطعت رأسه مع يعقوب.

اصطبغ يعقوب، أخو يوحنا، بسرعة بصبغة الموت التي أنبأه يسوع بها، وكان الرسول قد أعلن عن استعداده ليصطبغ بها، وبسبب يد هيرودس القاسية (أع ١٢:٢)، كان أول الاثنى عشر والذي حمل شهادته الدامية وعاد إلى محضر الرب الذي أحبه في السماء كان استفانوس

١. الإبيونية: طائفة مسيحية برزت في القرن الأول والثاني للميلاد وهي تتكون من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية والذين اعتبروا ناموس موسى مازال ملزماً وقد حاولوا تهويد المسيحية (المترجم).

ويعقوب أول الشهداء الذين قدموا حياتهم للمسيح. ولكن على خلاف نهاية استفانوس، يسدل ستار الصمت على الساعات الأخيرة من حياة الرسول يعقوب، باستثناء التقليد القديم جداً عن الضابط، الذي حين نخسه ضميره تجدد في الحال، ومات مع الرسول.

يهوذا الإسخريوطي

ليس هناك ما يدعو لأن نطيل التأمل في النهاية المحزنة لهذا الرسول المخيب للآمال، حيث أن الكتاب المقدس يصف بالتفصيل فعلته الشنعاء وموته المأساوي. من المثير أن نلاحظ أن العبارة التي استخدمها بطرس فيما يتعلق بطبيعة موت الخائن تقول: «انسكبت إحشاؤه كلها» (أع ١٨:١) هي المرادف العبري للعبارة العصرية التي تقولها «كسر قلبه». كان هو الوحيد بين الرسل الذي مات منتحراً بهذه الطريقة، ومازال المسافرون ينظرون هذه الشجرة خارج أورشليم. إن وجود جثة معلقة هكذا هو منظر مثير للاشفاق والفكرة تقليدية لموت الخائن، والتي حتى وإن كانت مستحيلة في الواقع، إلا أنها معبرة حقاً عن اللعنة المرتبطة بالوادي». يشير جايدز إلى البقعة التقليدية «حقل دما» «حقل دم» الذي ظل لعدة قرون «مكاناً لدفن الغرباء».

ويتحدث الدكتور ج. إلدركمنج في وصفه لزيارة إلى الأرض المقدسة إلى الوقوف فوق البقعة التقليدية حيث شنق يهوذا نفسه على شجرة، في اليوم الذي حكم فيه بالموت على الشخص الذي خانه «هناك، تحت تلك الشمس المحرقة، كان الجسد معلقاً، وقد أصبح فاقداً للون ومتورماً، ولكونه ممتلىء الجسم في الغالب وبدينا، فبعد انقطاع الحبل، هوت الجثة وتدحرجت إلى أسفل التل، ككتلة بائسة في أقصى قاع الوادي». ثم يمضي الدكتور كمنج فيقول: «ياللحسرة! ياللحسرة على ضياع آمال شاب واعد، واليأس المرير لرجل كان متحمساً مندفعاً، وتحطم الرغبات الأنانية التي أصبحت أداة في يد عدو البشر، والكارثة المدمرة والمرئية لرجل قال للشر أنت إلهي! كم كان السقوط مدوياً، بالنسبة لشخص كان قريباً من الخلاص إلى هذه الدرجة، إى كان قريباً من المسيح».

ألا نتذكر تاريخ أخيتوفل عندما نفكر في يهوذا، الذي يُعامل في الأساطير الكنسية وفي الفن المقدس عادة كتجسيد للخيانة، وعدم الامتنان وعدم التقوى. إن شخصية وخيانة وانتحار يهوذا موصوفة في العديد من الأساطير خاصة في الكتب القبطية. أما بابياس فقد ذهب إلى حد القول إن يهوذا كان واحداً من أوائل المسيحيين الذين كتبوا العهد الجديد. أما دانتي، واحد من أعظم شعراء الماضي، لم يكن يخالجه الشك في ما يتعلق بالنهاية التي كان يستحقها يهوذا، لقد ساوى بين مصير الخائن ومصير كل من بروتوس وكاسيوس قاتلي يوليوس قيصر، في أعماق الجحيم.

يوحنا

نحن متأكدون من حقيقة أن يوحنا قد فاق كل الرسل الآخرين، وأنه نُفي إلى جزيرة بطمس بسبب شهادته للمسيح، وأنه قضى سنواته الأخيرة في أفسس، يعمل لتثبيت المحبة بين المسيحيين، وأنه مات خلال حكم تراجان، الذي بدأ سنة ٩٨م. ولكن قدراً كبيراً من السجل الأبوكريفي عن الرسول يوحنا يمكن رفضه باعتباره مشكوكاً في صحته. تخبرنا لائحة موراتوري عام ٧٥م أنه كتب الإنجيل الذي يحمل اسمه بناء على تحريض من إخوته في الخدمة. ويؤكد تاريخ الكنيسة أنه كان لديه ثلاثة تلاميذ عندما كبر في السن، أصبحوا مشهورين في الكنيسة الأولى، وهم بوليكاربوس، وبابياس، وأغناطيوس،

وجميعهم كتبوا عنه بحب، وشهدوا أنه كان محباً متواضعاً وصبوراً وطيباً حتى نهاية أيامه.

القصص المتداولة عن يوحنا كثيرة، لدرجة أنه يستحيل تقريباً أن نقرر إذا كان أي منها قد نبع من وحي الخيال أو مصدره الحقيقة. تقول إحدى الأساطير إن يوحنا اعتاد أن يرتدي فوق جبهته، مثل رئيس الكهنة في القديم، صدرة من ذهب، كان مكتوباً عليها «قدس للرب». من الواضح أن هذه القصة ما هي إلا تفسير حرفي لفضيلة القداسة المكتوبة على وجه الرسول. وهناك تقليد آخر يقول لنا إنه حُكم عليه أن يشرب كوباً من السم، إنه فعل ذلك، دون أن يعاني بالمرة. ومع ذلك هناك قصة أخرى تقول إنه حُكم عليه بالموت ودُفن، ولكن في نفس ذلك اليوم قام ثانية من القبر، وعاش كما كان من قبل.

وهناك أسطورة واسعة الانتشار تقول إنه بينما كان في روما، ألقي به في وعاء به زيت مغلي، وهذه من أشنع الميتات التي كان يتعرض لها المسيحيون في ذلك الوقت. تقول الأسطورة إن يوحنا ألقي به في الزيت المغلي بناء على أمر صادر من دومتيان، ولكن الله حفظ خادمه. لأنه لم يعان من أي عذاب بل أنه وجد أن الزيت المحرق تحول إلى حمام منعش كان يبدو أنه يجدد فيه شبابه، وبعد أن رأى دومتيان يوحنا يخرج مليئاً بالحيوية والقوة نسب إنقاذه إلى السحر، ولكن الخوف من إيمان يوحنا الذي حفظ ضحيته جعله لا يجرؤ على الحاق أي معاناة أخرى بالرسول، بل نفاه إلى بطمس، حيث بقي هناك حتى موت الإمبراطور، عندما عاد إلى أفسس. أقيمت كنيسة في المكان الذي أنقذ فيه يوحنا منذ أيام أوائل الأباطرة المسيحيين، سميت «القديس يوحنا في الزيت». ومنذ موته، اطلق اسم يوحنا على مئات الكنائس، تم تكريم القديس يوحنا في أماكن عديدة كالقديس الحامي لهم من قبل الطباعين، وصناع البراميل، وصناع الشموع والمصابيح.

أجمل وأمتع تقليد فيما يخص الأيام الأخيرة ليوحنا هو التقليد الذي يؤكد أنه كان يُحمل إلى ومن خدمات يوم الرب قبل وقت قصير من موته، فنظراً لأنه كان ضعيف الجسم بسبب بلوغه العام المائة من حياته، فكل ما كان يستطيع أن يفعله أن يقول هذه الكلمة الختامية لتلاميذه: «يا أولادي، أحبوا بعضكم بعضاً». وهكذا مات ميتة طبيعية على رجاء الغبطة الأبدية، ودُفن في أفسس. والشيء اللافت للنظر أنه على الرغم من أن التقاليد المحلية في أفسس مليئة بأخبار بولس ولوقا اللذين دُفنا هناك، إلا أنه لم يكن يذكر عن يوحنا سوى النذر اليسير كما لو كان ذلك يوحي بأن الروح الهادئ الخجول والذي كان يقوده دائماً إلى الانزواء والصمت كلما أتيح له ذلك، مازال موجوداً هناك. قال معلم يوحنا: «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب».

وبسبب كبر سنه المفرط، فإن يوحنا الحبيب قد عاش بما فيه الكفاية ليشعر أن العالم قد أصبح موحشاً، مع رحيل جميع الذين أحبهم كثيراً، وقد عاش حتى كان يتوق كثيراً إلى التغيير الذي يأتي به وجهاً لوجه مع المعلم ثانية، وذلك الذي أحبه بشدة. وضع هيبوليتس أسقف بورتو، وتلميذ أكليمندس الاسكندري، يوحنا في نفس المنزلة مع أخنوخ وإيليا باعتباره لم يذق الموت، ولكنه انتقل فجأة من الأرض إلى السماء، هذه النظرية الخاطئة بأن يوحنا لم يمت قد بُنيت على فهم خاطيء لحديث ربنا مع بطرس بخصوص مصيره، ثم سؤاله ليسوع فيما يتعلق بنهاية يوحنا، باعتباره التلميذ الذي كان يسوع يحبه، ووبخ المعلم حب استطلاع بطرس بالقول: «إن كنت أشاء أنه يبقي حتى أجيء فماذا لك» فأساء الرسل فهم هذا الرد، ولذلك ذاع بينهم هذا القول «إن ذلك التلميذ لا يموت» ولكن يوحنا، الذي يسجل هذا الحوار (يو ٢١:٢١-٢٣). كان حريصاً

على تصحيح سوء الفهم هذا: «لم يقل يسوع إنه لا يموت، بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟».

نحن نقبل حقيقة أن يوحنا مات في ختام القرن الأول، وعند نهاية حياة هادئة انتقل من هذه الحياة بهدوء، ولكن قبره كقبر موسى، لا يعرف أحد مكانه سوى الله. قال دانيل ماكلين: «مات كما تغرب الشمس في أحد أيام الصيف، حيث تمدد قلبه كالشمس الغاربة». وتخلصت السحب من رعدها وهي تلحق بوهج الشفق ذي الضوء المتقد كما لو كانت المركبة النارية التي حملت إيليا إلى السماء قد عادت بعذوبة لترفع حبيب الرب إلى فوق. لقد توّج العصر الرسولي، واختتم سفر الإعلان الملهم بعبارة قصيرة تردد صدى الوعد الذي سمعه التلاميذ عند الصعود «آمين تعال أيها الرب يسوع». وهكذا دخل يوحنا لكي يستمتع بما رآه مسبقاً في الفكر، وهو الآن يمشي مع المسيح وسط المناير الذهبية».

كنا نود أن نذكر تابعين آخرين مشهورين للمسيح مثل مرقس، ولوقا، وتيطس، وآخرين ممن شربوا كأس الموت لأجل المسيح، ودخلوا بذلك في شركة آلامه، لو لم يكن الموضوع خارج دائرة الرسل. جميع الذين كانوا وثيقي الصلة بالمعلم أصبحوا شهداء، وظلوا بنعمته، أمناء حتى موتهم الأليم.

ملحـــــــــق

قبل أن نختتم تأملنا الرائع في حياة وأعمال الرسل، هناك عدة ملامح شيقة يمكن أن نلفت الأنظار إليها، وقد صنفناها لفائدة القراء.

رموز رسولية

بسبب أحداث معنية في حياتهم أو سجلات تقليدية عن استشهادهم، أصبح التعرف على الرسل يتم عن طريق شارات أو رموز تضاف عادة إلى الصور والتماثيل الخاصة بالرسل.

الاثنا عشر

كانت هناك رموز كثيرة ترمز للرسل الأصليين كمجموعة وكأفراد. فعلى سبيل المثال، نقشت اثنتا عشر حمامة في إحدى اللوحات القديمة لتمثيل الاثنى عشر تلميذ في إشارة لكلمة ربنا عن إرسالهم كالحمام الوديع، وفي لوحة أخرى، تم نقش حمل بجوار كل رسول، أو تم نقش اثنى عشر حملاً – في إشارة أخرى لإحدى استعارات المسيح عن إرساله للتلاميذ كالحملان.

أندراوس

يقول التقليد أنه بينما كان أندراوس يكرز بالإنجيل في اليونان حكم عليه بالموت على صليب مستعرض، يمثل الحرف X، ولذا فهو معروف في كل مدارس الفن كرجل عجوز يستند على صليب بهذا الشكل، ممسكاً بالإنجيل في يده اليمنى.

برنابا

ضمن الدائرة الأوسع للرسل، فإن برنابا، الناجح بشكل خاص ككارز بالإنجيل، يرمز إليه بكتاب مقدس مفتوح، عاش بموجبه وكان يجله. وقد صوَّره الفنانون حاملاً الإنجيل باليد، وعصا السياحة أو حجر في اليد الأخرى.

برثولماوس

عادة يُرمز إلى هذا الرسول، والمعروف أيضاً باسم نثنائيل بثلاث سكاكين لأنه سُلخ حتى الموت بسكين حاد.

يعقوب الكبير

بسبب أعماله في كومبوستيلا، يصور يعقوب هذا بثلاث محارات مروحية الشكل وعصا السائح، أو إناء من نبات القرع، لأنه كان يُعرف كالقديس الحامي للسياح. كانت المحارة المروحية الشكل يفترض أنها رمز السياحة وتمثل غيرة الرسول وروح الكرازة. سجل أرازمس أنه تم تبنِّي هذا الشعار لأن شاطيء البحر المجاور كان مليئاً بهذا النوع من المحار. كان السياح يستخدمون المحار كأكواب، وملاعق وصحون، وعند العودة إلى البيت، كان السائح يضع محارته المروحية في قبعته لينال الإعجاب وكان يتخذها كشعار للنبالة.

يعقوب الصغير

هناك رمزان يرتبطان بهذا الرسول، فهو يمثَّل أولاً بمنشار لأنه قيل إن جسده قد نُشر بعد استشهاد مروع. ويرمز له أيضاً بعصا القصَّار، لأنه قتل بضربة على رأسه بعصا، ضربه بها سمعان القصار.

يوحنا

يقول الكُتَّاب الأوائل إن يوحنا شرب مرة من كوب به

سم ولم يصب بسوء، ولذا فيرمز له بكوب مع حية مجنحة تطير منه، في إشارة للتقليد بشأن ارستوديموس، كاهن ديانا، الذي تحدى يوحنا بأن يشرب كوب السم. يقول التقليد الروماني الكاثوليكي إن يوحنا رسم علامة الصليب على الكوب فهرب الشيطان، على شكل التنين، منه، وبعدئذ شرب يوحنا الكوب دون أن يمسه ضرر.

يهوذا الإسخريوطي

يرمز للخائن بحقيبة لأنه كان أمين صندوق الرسل وكان يحمل الصندوق، «كان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقي فيه» (يو ١٢:٦). كم كان الصندوق خير شاهد على جشع يهوذا!.

متى

هناك رمزان يرتبطان بهذا الرسول الجذاب. يرمز إليه بثلاثة صناديق تشير إلى حرفته الأصلية كجابي للضرائب. ثم لأن الأسطورة تقول إنه قتل في نابادار بفأس. يُرمز لمتى ببلطة أو فأس.

متياس

يُرمز لمتياس الذي أُختير بواسطة الأحد عشر رسولاً ليحل محل يهوذا الذي شنق نفسه، بكتاب مقدس مفتوح فوقه فأس مزدوج النصل، في إشارة للتقليد بأنه رُجم أولاً ثم قُطعت رأسه بفأس بسبب ولائه للمسيح.

بولس

يُمثَّل الرسول المشهور إلى الأمم بطريقتين. أولاً، يُرمز إليه بسيف، لأن رأسه قُطعت بسيف. ويفخر مجمع ليزلا في أسبانيا بامتلاكه لهذه الأداة التي أرسلت بولس إلى السماء. ثم يُرمز إليه بكتاب مقدس مفتوح فوقه هذه الكلمات Spiritus Glodius «سيف الروح» وخلف الكتاب المقدس المفتوح يوجد رسم لسيف.

بطرس

هناك رمزان لهذا الرسول الذي أنكر ربه ولكنه مات لأجله. فهو يُرى ممسكاً بمجموعة من المفاتيح، لأن يسوع تحدث لبطرس عن «مفاتيح الملكوت» ثم يُصوَّر أحياناً بديك قريب، لأنه بكى بمرارة عندما سمع صياح الديك.

فيلبس

يُرمز للرسول فيلبس بسلة تحتوي على رغيفين، وعصا طويلة يعلوها صليب. يشير الرمز الأول لحديث فيلبس ليسوع عن إطعام الجمع الجائع (يو ٦:٧)، ويرتبط الرمز الثاني بالموت الذي اجتاز فيه بتعليقه من رقبته من عمود مرتفع.

سمعان الغيور

أولاً، يُرمز لهذا الشاهد الملتهب بكتاب فوقه سمكة، مما يدل على أنه عن طريق قوة الإنجيل أصبح سمعان صياداً للناس. ثم يمثل أحياناً بمنشار بسبب التقليد الذي يقول إنه نُشر حتى الموت في وقت الاضطهاد المريع.

تداوس

بسبب الأسطورة التي تقول إن هذا الرسول قد استُشهد بعكاز ثقيل، يرمز إليه بعكاز. نحن لا نستطيع أن نقرأ عن الآلام المريعة للرسل دون أن ندرك ما كلفهم ليكونوا أمناء للمعلم الذي أحبوه.

توما

عن طريق التمثال الذي أقامه ثوروالدش لتوما يمثله كرجل مفكر يمسك بمسطرة قياس في يده كالقديس الحامي للمهندسين المعماريين والبناة. عادة يرمز لتوما بزاوية النجار وحربة – تدل الزاوية على كنيسة بناها بيديه في الهند، وتذكرنا الحربة باضطهاده هناك، وكيف أن كاهناً وثنياً أغمد في جسده في ميليابور رمحاً أو حربة.

قداسة الرسل

طبعة الـA.V للعهد الجديد تضفي قداسة على كاتبيه، ولذا فالكتاب الأول هو الإنجيل طبقاً للقديس متى، وهلم جرا. ولكن طبعة الـR.V لا تستخدم لفظ «قديس» قبل اسم الكاتب. ولكن الرسل أنفسهم أول من يستنكر استعمال مثل هذا اللقب اللهم إلا إذا كان الاستعمال بمعنى أنهم، ونحن، جميعاً قديسون في المسيح يسوع. نحن لا نستطيع أن نتصور أن يوافق بولس على أن يدعي القديس بولس بالطريقة التي تستخدم بها بعض الكنائس هذا اللفظ. فقد فضل هو أن يطلق عليه لفظ «أول الخطاة» أو «أصغر جميع الرسل» فكل مؤمن حقيقي يدعي قديساً (١كو ٢:١). وكل المسيحيين المولودين ثانية قديسون، ولكن البعض أكثر قداسة من آخرين.

وبوصولنا إلى نهاية تغطيتنا لكل الرسل المذكورين في العهد الجديد، فإنه اختبار مجيد أن نمكث في صحبتهم لمزيد من الوقت. فنظراً لحميمة صلتهم بالمعلم، لابد أنهم كانوا على دراية جيدة بعنايته المهيمنة على أولئك الذين دعاهم لخدمته. إن أغلبيتهم جاءوا من أوساط متواضعة، وكانوا يتمتعون بقليل من الامتيازات فيما يتعلق بالثراء، والتعليم والهيبة، ولكن الذي قال «هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس» (مر ١٧:١)، جعل منهم ما انتهوا إليه في النهاية، أي رسلاً وشهداء الإيمان، وكوارثين لتواضعهم وشجاعتهم، ليتنا نثبت أننا صادقون وأمناء في عصرنا هذا، كما كانوا هم في عصرهم. وإذا لم نحصل على امتياز أن نلبس تاج الشهيد، كما لبس جميع الرسل على الأرجح، يمكننا – بل ويجب – أن نتزين بروح الشهيد. لقد اكتشف عدد كبير من الناس أنه من السهل نسبياً أن يموتوا لأجل المسيح. ولكن كان من الصعب أن يعيشوا كما أرادنا هو أن نعيش في وسط عالم شرير!

وكما أن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد، فكل ما أنجزه في ومن خلال الذين اختارهم، هو قادر أن ينجزه في حياتك وحياتي إذا سلمنا له كل شيء. ولذا فعندما نودع تلاميذه الأوائل نحمده لأنه جعل:

أندراوس، محباً للنفوس.

وبرنابا، مثالاً للوكالة الأمينة.

وبرثولماوس، قاهر الوثنية في أقطار بعيدة.

ويعقوب، أول شاهد بالموت على يقينية الحياة الأبدية.

ويوحنا، المترجم الأمين لمحبة الله للإنسان، ومحبة الإنسان لله.

ومتى، الكاتب لإنجيل الملكوت.

ومتياس، الرسول الأمين في مناطق معزولة.

وبولس، الجندي الصالح ليسوع المسيح.

وبطرس، الكارز الشجاع بالمسيح لليهود.

وفيلبس، الشاهد الشجاع بين عابدي الحية.

وسمعان، زارع البذار في جزر بعيدة.

وتداوس، الرسول العملي في ممالك الشرق البدائية.

وتوما، الشاهد الواقعي، الذي عمل – وعاش – بزاوية النجار.

لقد استطاع يسوع أن يقول عن تابعيه المتواضعين، والأمناء والمضحين، «أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت ٢٨:١٩). ولأنهم تألموا لأجله، فلسوف يملكون لأجله، ومعه... ولكن مثل هذا المركز، مركز الملك والحكم ليس للرسل وحدهم. فقد أمر يسوع يوحنا أن يكتب قائلاً: «من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه» (رؤ ٢١:٣).

إن كلمة رسول، كما رأينا، تعني «شخصاً مرسلاً» وكل

من يخلصهم المخلص، يرسلهم إلى العالم ليكونوا واسطة لخلاص الآخرين. للأسف فإن عدداً كبيراً ممن خلصوا، يبدو أنهم نسوا العمل المرسلي، وبالتالي فهناك نفوس كثيرة في العالم بلا إله أكثر مما ينبغي.

الآباء الرسوليون

هذا لقب مجموعة من الكتاب المسيحيين في الحقبة اليونانية ولدوا قرب نهاية القرن الأول ومارسوا خدمتهم في القرن الثاني. يربط التقليد بين أكليمندوس وهرماس وبين بطرس، ويربط بين أغناطيوس وبوليكاربوس وبابياس وبين يوحنا. في البداية كان يطلق على هؤلاء الكُتَّاب لفظ «رجال رسوليون» وتم تداول لفظ «الآباء الرسوليين» في حوالي القرن السادس، بعد تطوير سلطة الآباء. وفيما بعد تم التوسع في اللقب ليشمل كُتَّاباً آخرين وسوف نكتفي بموجز سريع لأقدم هؤلاء الآباء. ولمعالجة شاملة لكل الرجال الرسوليين، نشير على القارىء باللجوء إلى كتب مثل «الآباء الرسوليون» بقلم أ.ج جودسبيد، وكتاب ر.م جرانت «الاحتكام إلى الآباء الأوائل». ويمكننا أن نجد تغطية كافية لذلك الموضوع في دائرة المعارف البريطانية.

أغناطيوس ٧٠-١١٥م، كان شاباً فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين من العمر عندما انتهت حياة الرسول يوحنا، كان هذا الأسقف الثاني على سوريا واحداً من أقدم الآباء الرسوليين، وكتب سبع رسائل ذات أهمية فريدة، اقتبس بوليكاربوس المعاصر له بعضاً منها، يقول التقليد إن أغناطيوس كتب هذه الرسائل وهو في طريقه للاستشهاد في روما. وأثناء سفره عبر سوريا في سلاسل صاح «أني سعيد بهذه الوحوش المفترسة» قاد تلهفه على الاستشهاد بعض العلماء إلى اعتباره مصاباً بمرض عصبي. وعندما وصل روما، وحاول بعض المسيحيين هناك أن يحولوا بينه وبين استشهاده، قال: «أنا قمح الله، دعوني أطحن حتى الموت بأسنان الوحوش المفترسة حتى أصبح خبز المسيح النقي».

بوليكاربوس ٧٠-١٥٥م كأسقف على الكنيسة الواقعة تحت الاضطهاد الشديد في سميرنا، كان شخصية بارزة في الكنيسة الأولى. من المرجح أنه كان تلميذاً ليوحنا وصديقاً لمعاصرين آخرين لربنا، ولذلك كان له دور كبير في تطوير الكنيسة وأيضاً في وضع لائحة العهد الجديد. تعكس كتاباته أقوال المسيح، وتعليم بولس، بينما كان يعد لأن يُحرَق، كان المضطهدون يستحثونه لإنقاذ حياته بأن يسب المسيح، فكان رده الشهير: «لقد عشت خادماً لمدة ٨٦ سنة، دون أن يسيء إليّ إطلاقاً، فكيف يمكنني إذن أن أجدف على الملك الذي خلصني؟».

أكليمندس ٣٠-١٠٠م، أقدم الآباء الرسوليين، الذي قيل عنه أنه كان أسقفاً على روما. وهذا تقليد لا تقبله الكنيسة الرومانية. قرب أواخر القرن الأول، كتب أكليمندس مقالته الشهيرة إلى الكنيسة في كورنثوس مستحثاً أعضاءها المنقسمين على العودة إلى السلام والنظام الرسولي. اعتبر مسيحيو القرنين الثالث والرابع رسائله كتاباً مقدساً. إحدى رسائله تفتتح بهذه الكلمات: «إخوتي، يجب أن نفكر في يسوع المسيح كما نفكر في الله».

بابياس، ٦٠-١٥٠م، يقال إنه تلميذ آخر من تلاميذ الرسول يوحنا. في أوائل القرن الثاني خدم كأسقف على هيرابوليس في فريجية. كتب بابياس كتاباً عنوانه «تفسير الوحي الإلهي» استمد فيه بابياس قدراً كبيراً من المعلومات من رسائل بطرس، وشهد لإنجيل مرقس باعتباره أقدم الأناجيل الأربعة، كان بابياس أيضاً أول من يؤكد على أن متى كتب أحاديث ربنا بلغة عبرية.

ايرينايوس، ١٢٠-٢٠٠م، كان تلميذاً مخلصاً لبوليكاربوس، وأصبح أسقفاً على ليونز. كان مؤلفاً للكتابين

الهامين «ضد كل الهرطقات» الذي شهد فيه لكل العهد الجديد تقريباً، وتحديداً للأناجيل الأربعة، ثم كتاب «البرهان على التعليم الرسولي»، الذي أعطى فيه ايرينايوس للكنيسة «نوعاً من كتاب الجيب أو كتاب مرجع صغير» للمسيحي الذكي وفيه شرح إيمانه، أو كما دعاه «مذكراً بالأشياء الأكثر أهمية».

هرماس أحد الآباء الذين ولدوا في نهاية القرن الثاني، وأنتج كتاباً يعرف باسم «راعي الغنم» وهو عنوان مأخوذ من هيئة الملاك الذي ظهر له، وهو يحتوي على خمس رؤى، و١٢ «وصية» و١٠ «أمثال». كان يمثل نوعاً من المسيحية اليهودية التي يبدو أنها ازدهرت في روما خلال هذه الفترة.

وفي العقود التالية للقرن الثاني وأثناء القرن الثالث، ظهر كثيرون آخرون، وتكشف بعض كتاباتهم انحرافاً ملحوظاً عن مسيحية العصر الرسولي. حمل الآباء الرسوليون الأوائل شهادة واضحة للعهد الجديد، وخلال خدمتهم كان من الواضح أن الكنيسة كانت قوة روحية في العصر الجديد. وكان جوستن مارتر ١٠٠-١٦٥م الفيلسوف السامري الذي اعتنق الإيمان المسيحي على أساس المنطق، وبملاحظة ثبات المسيحيين في مواجهة الاستشهاد، كان كاتباً غزير الإنتاج، ووجه كتابين للإمبراطور الروماني دفاعاً عن المسيحيين وكتب أيضاً «حوار مع تريفو» برر فيه موقف المسيحية أمام الفكر اليهودي، ثم مات ميتة شهيد.

هناك آباء آخرون مثل تاتيان وترتليان، وأوريجانوس وكليمندس الاسكندري وسايبريان، وآباء عديدون من القرنين الثالث والرابع. الذين يمكن تتبع حياتهم في أي كتاب قيم مثل «الآباء الرسوليين» بقلم الأسقف لايتفوت أو الكتابين اللذين كتبهما سكاف Schaff عن «تاريخ الكنيسة». سوف يجد القارىء أن دراسة هذه الشخصيات البارزة من القرون الأولى عملاً جذاباً ومجزياً، خاصة في معالجتهم لكتابات أولئك الذين كتبوا العهد الجديد.

قانون الإيمان الرسولي

العقيدة التي كثيراً ما نرددها والمعروفة باسم قانون الإيمان الرسولي لم تظهر مع الرسل، ولكن أطلق عليها هذا الاسم لأنه يفترض عادة أنها خلاصة بعض التعاليم الأساسية التي علَّمها الرسل. وهذه الوثيقة بالذات هي أقدم قوانين الإيمان وهي أساس لكل قوانين الإيمان الأخرى. هناك أسطورة تقول إن قانون الإيمان تشكل بناء على أوامر من الاثنى عشر، الذين أضاف كل منهم عبارة، وهكذا فإن بطرس، بارشاد الروح القدس بدأ هكذا:

«أؤمن بالله الآب القدير» ثم أردف أندراوس أو يوحنا بالسطر التالي

«وبيسوع المسيح ابنه الوحيد، ربنا»

وعلى الرغم أن الرسل أشاروا بالتأكيد للكتاب المقدس كقانونهم للإيمان، إلا أن العقيدة التي تحمل هذا المسمى لم تتكون حتى القرن الخامس أو السادس. وتم قبولها في الكنيسة اللاتينية بشكلها الحالي حوالي القرن الثاني عشر.

في حوالي القرن الثاني كان هناك اعتراف ينطق به الذين يعتنقون المسيحية، لا يزيد عن هذه الجملة «أؤمن أن يسوع هو ابن الله». والكلمة عقيدة (أو قانون إيمان) Creed مستمدة من كلمة Credo بمعنى أؤمن. ومنذ وقت مبكر من تاريخ الكنيسة بدأت التعريفات الموجزة الثمينة القاطعة لتعاليم المسيح ورسله في الظهور. ومع أن لفظ عقيدة مستخدم على نطاق واسع الآن، ونحن نتحدث عن عقيدة سياسية أو عقيدة علمية... إلخ، إلا أن الكلمة ذات علاقة خاصة بالمسيحية، كموجز للحق المسيحي الذي نؤمن به، وشهادة لطبيعته غير المتغيرة.

وقد بُذلت الجهود لإبطال استعمال قوانين الإيمان، ولكن

الذين يتسمون بالأخلاق المسيحية الأصلية يبقون دائماً «الانعكاس الشفاف لفكر الكنيسة، والتعبير عن إيمانها الحيوي، ونبض حياتها الروحية. أما السبات الروحي الذي يشبه الموت في العصور الوسطى فقد كان مصحوباً بالكثير من الجدل، ولكنه لم ينتج أي عقائد إيمانية فالعقائد إذن هي ملامح هامة – علامات على الطريق في التاريخ، لكل من التعليم المسيحي والحياة المسيحية». والعقيدة الإيمانية للرسل كما تستخدم الآن تقول:

«أؤمن بالله الآب، القدير، صانع السماء والأرض
وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا
الذي حُبل به مَن الروح القدس
وُولد من مريم العذراء
وتألم على يد بيلاطس البنطي
وُصلب ومات وقُبر
ونزل إلى الهاوية (تعبير بمعنى القبر)
وفي اليوم الثالث قام من الأموات
وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله
الآب القدير
وسوف يأتي ليدين الأحياء والأموات
أؤمن بالروح القدس
وبالكنيسة الجامعة المقدسة
وشركة القديسين
وغفران الخطايا
وقيامة الأموات
وحياة الدهر الآتي.
آمين

يا لهذه العقيدة الرسولية من خلاصة رائعة للإيمان المسيحي!

والتفكير في العقيدة على اعتبارها حاوية للحقائق التي علمها الرسل، يقودنا لذكر الديداخ، أو التعليم وهي كلمة مختصرة تعني «تعليم الرب من خلال كرازة الاثنى عشر إلى الأمم». وقد أشار إليه كليمندس الإسكندري بإعتباره كتاب موحى به من الله، ولكن أثناسيوس من آباء الكنيسة أيضاً، أنكر قانونيته، ولكنه اعترف بفائدته. إن هذا الكتاب لا يجاهر بأنه مكتوب بقلم الرسل، ووجهة نظره التعليمية تتبع يعقوب وليس بولس، ويبدو أن له أربعة أهداف:

١- تعليمي – التعليم المقصود به إعداد المرشحين للمعمودية

٢- تعبدي – تغطية العبادة والطقوس

٣- كنسي – يتضمن تعليمات لقادة الكنيسة – العادية والاستثنائية

٤- أخروي – يقدم نصائح وتحذيرات تحث على السهر انتظاراً للمجيء الثاني

الملاعق الرسولية

في القرن الخامس عشر تقريباً كان هناك طاقم من اثنى عشر ملعقة تعرف باسم ملاعق الرسل تحمل كل منها شكل واحد من الرسل في فمه يد الملعقة. وكانت هناك أطقم يتكون كل منها من ١٣ ملعقة عندما كان يستخدم شكل المسيح جنباً إلى جنب مع الاثنى عشر رسولاً. وكانت هناك أيضاً أطقم يتكون كل منها من أربع ملاعق، لتمثيل البشيرين الأربعة واحد على مقبض كل ملعقة. وكانت العادة أن تقدم إحدى هذه الملاعق كهدية للطفل الذي يعمد. وتباع الآن هذه الأطقم كهدايا.

بدع رسولية لرسل كذبة

من الطريف أن نلاحظ أن كلمة رسول Apostle وكلمة مرتد Apostate لهما نفس الأصل، فقد هاجم بولس أشخاصاً معينين شقوا طريقهم إلي الكنيسة، واصفاً إياهم بأنهم «رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح» (٢كو ١١:١٣). واللفظ اليوناني مقابل «رسل

كذبة» هو Pseudapastaloi واللفظ المقابل لكلمة رسل هو Apostoloi، بينما الكلمة الإنجليزية الفعلية لكلمة «مرتد» غير مستخدمة في العهد الجديد، وصيغتها اليونانية موجودة في عبارة «الرجوع إلى الوراء» التي كتب عنها بولس (٢تس ٢:٣). تنبأ يسوع عن الارتداد عن الحق (مت ٢٤:١٠-١٢) وكلمة «مرتد» تعني، الابتعاد عن - والرجوع إلى الوراء - والانسحاب، بينما تتضمن كلمة «رسول» شخص يتبع ويرسل. يعرف جوليان، الأمبراطور الروماني، ٣٣١-٣٦٣م، بأنه المرتد، فقد تربى كمسيحي، مع أنه على الأرجح لم يعتنق الإيمان المسيحي أبداً، وعند اعتلائه العرش سنة ٣٦١، أعلن اعتناقه الوثنية وتسامحه مع كل الديانات.

قد يكون ارتداد المرتد عن المسيحية فكرياً كما في تجربة ارنست هـ هايكيل Ernest.H.Haeckel عالم الأحياء الشهير والفيلسوف، ١٨٣٤-١٩١٩، والذي بسبب فلسفته المادية المتقدمة نبذ المسيحية والكنيسة علناً ورسمياً، أو ربما يكون الارتداد أخلاقياً وروحياً، كما هو الحال مع يهوذا الإسخريوطي، الذي من أجل الربح القذر سلم ربه بخسة.

وبالرغم من الاضطهاد الديني والاستعماري، والضغوط من كل الجوانب للانحراف عن حادة الصواب فيما يتعلق بمجال الخدمة المعطي للرسل من الله، فقد قاوموا بقولهم «سوف نهب أنفسنا للصلاة ولخدمة الكلمة». فبالصلاة، استطاعوا أن يلمسوا ربهم الجالس على العرش، والكرازة بالإنجيل من المؤكد أنهم لمسوا الجماهير الغفيرة من جهة كل تفاصيل الحياة الأبدية. ولذا فعندما نلقي نظرة أخيرة على الرسل ونحاول أن نقارنهم بالكثير من القادة العميان للعميان اليوم، فإننا نصلي بحرارة لأجل ظهور جيش كبير يسيرون في ركابهم.

إن الرجال الذين اختارهم المسيح لخدمته لم تكن هناك أي مظاهر خارجية تميزهم عن الرجال العاديين، فلم يكونوا يرتدون أي شارة رسمية، ولم يكونوا يحملون شعارات تدل على المنصب. وكان سر قوتهم في بساطتهم، وبقوة الروح القدس انطلقوا يقدمون خلاصاً جديداً لعالم هالك، وقوة جديدة، ومصيراً جديداً عن طريق الصليب وقيامة ربهم الذي كان لهم الكل في الكل. إن عصرنا أصبح يتميز بعصر الإطاحة «بالإيمان» مقارنة بالأيام السالفة، كما تنبأ المسيح بذلك (لو ١٨:٨).